"الصهيونية، الغرب والمُقدَّس والسِّياسة"

■ قراءة: لينا السقر[1]

ملخّص

ارتبطَت الصّهيونيّـةُ بالمَصالحِ الإمبرياليّة الغربيّة، وخاصّةً بريطانيـا، التي دعمَتْ إقامةَ وطنٍ قوميٍّ لليهود في فلسـطين، واسـتغلَّت الصّهيونيّةُ الظُّروفَ الدّولية، وأبرزُهـا اضطهادُ اليَهود في أوروبا، لتَدفعَ بالهِجرة اليَهوديةِ إلى فلسطين، بدَعم بريطانيٍّ، وتَعمل على تأسيس دولة "إسرائيل" عام 1948م، وهو ما شـكَّلَ صدْمَةً ثقافيَّةً وعسـكريَّةً للعرب. ثم تطوَّر المشروعُ الصهيونيُّ ببُطءٍ عبرَ عدَّة مَراحل، بدأها اليَهودُ بتأسيس مُستوطَنات في فلسطين، وتَقديم دَعم لبريطانيا في الحرب العالميّـة الثّانية، في حينَ كانَت الدُّولُ العربيّةُ مُنشـغِلةً بمَشـاكلِها الدّاخليةِ، في مختلف مراحلِ تطوُّرِ "النِّظام العالميِّ الجديد".

وبعدَ الحربِ العالميّة الثّانية كانَ مشروعُ "دولة إسرائيل" حاضرًا في المُخيِّلة الجيواستراتيجيّةِ الغَربيّة، وأصبحَت الظُّروفُ مهيّأةً لإتمام هذا المشروع، الذي بدأ في مرحلةٍ مُبكِّرةٍ، وحصلَ على الدَّعم اللازم، وتحقَّقت له كلُّ المُقوِّمات والأُسس.

وهذا الكتاب محاولةٌ للإجابة عن التَّسـاؤُلات المتعلِّقة بتفسـيرِ دوافع التَّوأمةِ والالتصاقِ بينَ الحضارة الغربيّةِ والمَشروعِ الصهيونيِّ في فلسطينَ المُحتلّة.

الكلمات المفتاحية: فلسطين، الصِّراع العربي الإسرائيلي، النِّظام العالمي الجديد، أرض الميعاد، المسيحية الصهيونية، الصهيونية.

1 - باحثة من سوريا.

مقدمة

يُعدُّ الـصِّراعُ العربيُّ «الإسرائيليُّ» من أعقَـدِ الصِّراعاتِ في التّاريخِ الحديث، وقد أسـهَمَت فيه عَواملُ دِينيّةٌ، وسياسـيّةٌ، واجتماعيّةٌ، عقَّدَتِ الأحداثَ التي شهدَتْها المنطقةُ منذُ بداية القرنِ العشرينَ وحتّى يَومنا هذا.

وهـذا الصِّراعُ لم يكنْ وليدَ لحظةٍ أو مُجرَّدَ نزاعٍ إقليميٍّ عابرٍ، بل هو نتيجةُ تراكماتٍ تاريخيّة، وثقافيّة، ودوليّة، إضافةً إلى التَّدخُّلاتِ الاستعماريّة الغربيّة، التي أسهمَت بشكلٍ كبيرٍ في تشكيل ملامحِ هذا النِّزاع.

وتَهدفُ هذه القراءةُ إلى تسليط الضَّوء على الجذور العَميقةِ لهذا الصِّراع، التي لا يُمكِنُ فصلُها عن تطوُّراتِ التّاريخ المُعاصرِ، معَ مراعاةِ السِّياقاتِ الإقليميّةِ والدّوليّةِ التي أسهمَت في تَصعيدِهِ وتَوسيعِ نِطاقِه.

بطاقة الكتاب

عنوان الكتاب: «الصهيونية، الغرب والمُقدَّس والسياسة».
مُؤلِّفُ الكتاب: عبد الكريم الحسيني.
دار النَّشر: شمس للنشر والتوزيع.
سنة النَّشر: ٢٠١٠م.
عدد الصفحات: ٨٣٣.
اللُّغة الأصليّةُ للكتاب: اللُّغة العربية. (ليس للكتاب نسخةٌ مترجمة).

قبلَ الخـوضِ في تفاصيل الكتاب وفصولِه العِشرينَ، جديرٌ بالذِّكـرِ أنَّهُ حينَما كانَ المَشروعُ

الصّهيونيُّ في طور التَّنفيذ، كان لبعض الزُّعماءِ العَرب، وخاصّةً في مصر والأردن والسعودية، مَرجعيّةٌ خارجيّةٌ أو أكثرُ من الدُّول ذاتِ النُّفوذ، وخلافاتُهم أضحَت أكثرَ وتَبدو أكبرَ من عَدائِهم لـ"إسرائيل"، التي من المَفروضِ أن تكونَ العدوَّ المُفترَضَ للعربِ جميعًا.

الفصل الأول: اليهوديةُ دينٌ

يدَّعي اليهودُ أنَّ اليهوديةَ عقيدةُ توحيدِ الرَّبِّ، وكما يدَّعونَ الاختيارَ الإلهيَّ لبني إسرائيل «شعب الله المختار»، وتَوريثَ الأرضِ (فلسطين) لإبراهيمَ ونَسلِه من بَني إسرائيل. جاءَت تسميتُهُم نسبةً إلى "يَهوذا" ابنِ يعقوبَ، الذي يَنتمي إليه بنو إسرائيل، الذينَ بُعثَ فيهم النبيُّ موسى (عليه السلام). وقد تنوَّعَت الرِّواياتُ والأبحاثُ عن أصل اليَهود، وهذا التنوُّعُ والاختلافُ يُؤكِّد أنَّ اليهودَ قِسمان، قسمٍ جذورُه تَعود لقبائل عبدَت الإله "يهوه"، إلهَ البَراكين لَدى قبائلَ كانَت تَعيش على الحدودِ بينَ مِصرَ وفلسطين، ومِن أهمِّ خصالِه السَّيطرةُ على ما يَملكُه الآخَرونَ، والتَّعطُّشُ للدِّماءِ والعُنف، وتَفضيلُ اللَّيلِ والظُّلماتِ على الشَّمس. والقسمُ الآخَرُ يَعودُ بجذوره لقومٍ من أتباعِ النبيِّ موسى ﷺ بعدَ أن غادرَ مصرَ، وهؤلاءِ اتَّسموا بحُبِّ الاختراعِ والفضيلةِ والابتعادِ عن أذيّةِ الآخَرينَ.

إذنْ، ووَفقَ كلِّ الرِّواياتِ، فاليَهود لَيسوا أُمَّةً واحدة، وادِّعاءاتُ الصّهيونيّة بأنَّهم كذلك باطلةٌ. حتى بعدَ إنشاءِ الحركة الصّهيونيّة في القرن التاسعَ عشرَ، كان هناكَ اتِّجاهان، اتِّجاهُ التَّيارِ القوميِّ المُصِرِّ على إيجاد وطنٍ خاصٍّ باليهود، واتِّجاهُ التيّارِ الوطنيِّ الدّاعي لعيشِ اليَهودِ في المجتمعاتِ التي وُلدوا فيها. وأمَّا عندَ التبحُّرِ والغَوصِ في نصوص الكتابِ المُقدَّسِ عندَهم «التَّوراة»، فسنجدُ أنَّ الحركةَ الصّهيونيّة اتَّخذَت طَريقًا لا يمُتُّ لأيِّ قيمةٍ وفَضيلة بصلة.

نجمةُ داودَ هي رمزٌ يهوديٌّ قديم، إلا أنَّها محطُّ جدلٍ حولَ أصلِها ومَعناها. إذ يَعتقدُ البعضُ أنَّ الرَّمزَ يَعودُ إلى النَّبي داود ﷺ، على حين تُشير بعضُ الأدلّة التَّاريخيّة إلى استخدامِه قبلَ اليهودِ في مجالاتٍ مثلِ السِّحرِ والعلوم الخَفيّة. والنَّجمةُ السُّداسيّةُ، التي تُعرَف أحيانًا بـ «خاتم سليمان»، تتألَّفُ من مُثلَّثَينِ مُتداخِلَين، وتُعتبرُ رَمزًا للخَلق. قد تكونُ ظهرَت في عهدِ بني إسرائيل، خاصّةً في فترةِ عبادةِ العِجلِ الذَّهبيِّ. ومعَ مرورِ الوَقت أصبحَت رَمزًا للحركةِ الصّهيونيّة، واختيرَت شِعارًا لدولة "إسرائيل" في ١٩٤٨م.

الفصل الثَّاني: جذور المَشروع الصهيوني

قــام المشروعُ الصّهيونيُّ على فكرة إقامةِ وطنٍ قوميٍّ لليَهود في فلســطين، بدَعوى أنَّها أرضٌ بلا شــعبٍ لشَــعبٍ بلا أرضٍ، والهَدفُ هو حلُّ المســألة اليَهودية في العالَم، اســتنادًا للأساطير والادِّعاءاتِ التَّوراتية.

بعــد تمتُّعِ اليهود بالحريّة والنُّفوذِ عقبَ الثَّورة الفرنســيّة، انتشرَت ظاهــرةُ القوميّة في أوروبا، حيــثُ أصبحَ لكلِّ مجتمعٍ أوروبيٍّ هويّةٌ وطنيّةٌ، وأصبحَ اليَهودُ بينَهم يَبدونَ غُرَباءَ، خصوصًا في ألمانيا. والأمرُ أصبحَ أســوأ عندَ اغتيال القيصرِ الرُّوسيِّ الكســندر الثّاني، واتِّهام اليهودِ بذلك، فانتشرَ العَداءُ لليهود، وصدرَت قَوانينُ صارمةٌ ضدَّهم هناك.

ثــم تعالَت الدَّعــواتُ والأفكارُ لهجرة اليهــود إلى "أرضهم المَوعودة" فلســطين، ومن تلك الدَّعَــوات مــا كتبَه (موزيس هيس - Moses Hess) في كتابه المشــهور "رومــا والقدس"، رغم اعتقــادِه بأنَّ اليهودَ مَنبوذونَ، ووُجودُهم هو عنصرٌ فاعلٌ يَخدمُ مصالحَ الغيرِ لا أكثرَ، وكذلك ما دعا إليه (ليو بنســكر - Leon Pinsker)، رغم اعتقاده بأنَّ «شعب الله المختار» إنْ هو إلا شعبٌ مختــارٌ للكراهيّة العالَميّة، ولذا يَجب على اليهود التخلِّي عن الفكرة المَغلوطة القائلة بأنَّ اليَهودَ بتشــتُّتِهم هذا يُحقِّقونَ رســالةً إلهية. ومن بينِ الدُّعاة أيضًا جماعةُ "أحِبّاءِ صهيون" المؤلَّفةُ من طُلّابِ جامعاتٍ يهودية، والتي تغنَّتْ "بحبِّ فلســطين وجبــلِ صهيون والغَيرةِ عليهما"، كذلك جماعة "بيلو" التــي تَرمزُ لـ"بيت يعقوب تعالَوا لِنرَحَلَ». تبنَّت مجموعةُ "أحبّاء صهيون" كتابَ (بنســكر) "التحرُّر الذّاتي" الدّاعي للهجرةِ إلى فلسطين، حتى أصبحَ كتابُه بمَثابةِ تَوراةٍ جديدة، ودَعَوا إلى عدّةِ مُؤتمراتٍ، حتى تبلورَتِ الفِكرةُ بإقامةِ وطنٍ قوميٍّ لليهود على أرض فلسطين.

الفصل الثّالث: الصّهيونيّة البروتستانتيّة

استمرَّتِ الدَّعواتُ لتشجيعِ تَوطينِ اليَهودِ في فلسطين، وهو ما ساعدَ في خلقِ مُنظَّمةٍ يهوديّةٍ دينيّةٍ سياســيّة، أصبحَت فيما بعدُ هي الصّهيونيّة. وقد شــجَّعَ (مارتن لوثر - Martin Luther)، مُؤسِّــسُ البروتستانتية، على تشكيل وطنٍ لليهود في فلسطين، وكذلك الطُّهريون، الذين يُؤمنونَ بتَنفيذِ تَعليمات الكتابِ المُقدَّس، الذي جاء فيه حسبَ زعمِهم أنَّ فلسطينَ أرضُ الميعاد، واليهودَ هم شعبُ الله المختار.

أمَّـا الصهيونيّةُ فلَها ثلاثةُ مفاهيم، أوَّلُها التَّعريفُ الغربيُّ للصهيونية الذي يَنطوي على الأمَلِ، والتَّخلُّص من العِبء اليهوديِّ في المجتمعات الغربية، وحلِّ ما سُـمِّيَ بالمشكلة اليهودية، بما يُريحُ الغربَ واليهودَ أنفسَهم. وثانيها هو التَّعريف العربيُّ للصهيونية بأنَّها: عُدوانٌ ومُؤامرةٌ تُعطي حقًّا لمَن لا يَملِكُ حقًّا ولا يَستحِقُّ، وهي عدوانٌ صريحٌ على قطعةٍ غالية من الوطن العربي، لها مكانةٌ دينيةٌ عند العرب والمسـلمين. وأما المفهوم الثالث، وهـو المفهوم اليهوديُّ للصهيونية، فهو بينَ التَّعريفَينِ الغربيِّ والعَربيِّ: مَشروعٌ حُلوليٌّ يَستند إلى نبوءاتٍ أتى بها اليهودُ بناءً على ما جُبِلَت عليه النَّفسيّةُ اليهوديّةُ من طمعٍ وجشعٍ واسترخاصٍ ما للغَير. فالصّهيونيّة هي حركةٌ سياسيّةٌ تَسعى لحلِّ المشكلة اليهوديّة بالتَّوطينِ في أرض الميعاد (فلسطين).

ومن الشَّخصيات التي أسهمَت في تشـكيل الكيان الغاصبِ (جوزيف ترومبلدور -Joseph Trumpeldor)، الـذي يَنظـرُ إليه الشَّـبابُ اليهوديُّ على أنَّه من رُوّاد الاسـتعمار الاسـتيطانيِّ الصهيـونيّ، حيثُ تُحيطُـه الدِّعايةُ الصّهيونيّة بهالـةٍ من التَّمجيد، وتَرفعُـه إلى مصافِّ الأبطال التاريخيِّينَ، لكونه من الضُّبّاط الذينَ أسـهَموا في القتال على أرض فلسـطين دَعمًا للصهيونية، وقُتِل على يد العرب هناك.

يَعتبرُ «الإسرائيليُّون» الصهاينةُ تاريخَهُم مُقدَّسًا وليس زمنيًّا، وكلُّ ما يَفعلُه الصهيونيُّ بالآخَرينَ من البشر، سـواء كان خـيرًا أم شرًّا، هو خير، وعلى الآخرينَ أن يَقبلـوهُ لأنَّه مُقدَّس ومِن وَصايا الربِّ، أما التاريخ الزَّمنيُّ فقد يكون مجالاً للفَوضى أو النِّقاش.

والدَّليلُ على زيف ادِّعاءاتِهم الدِّينيّة بشأن أرض الميعاد أنَّ (تيدور هرتزل - Theodor Herzl)، الصحفيَّ اليهوديَّ النمسـاويَّ، دعا أن تكونَ أرضُ الميعاد إما فلسطين أو الأرجنتين. و(هرتزل) هو مُؤسِّـس الصّهيونيّة السياسيّة المُعاصِرة، الذي خرجَت كلُّ الاتِّجاهاتِ الصّهيونيّة من تحتِ عباءته، ومن ثَنايا خطابه المُزيَّف.

أمّا الماسونيّةُ فهي مَنظَّمةٌ يهوديّةٌ غامضة، تَهدف إلى ضمان سيطرة اليَهود على العالَم، وتَدعو إلى الإلحاد والإباحية والفَساد، وتتستَّرُ تحت شعاراتٍ خدّاعة مثل: «الحريّة - الإخاء - المساواة – الإنسـانية»، وجُلُّ أعضائِها من الشَّـخصيات المَرموقةِ في العالم. وللحركة الماسـونية تاريخٌ أسودُ، وتَردَّدَ اسمُها عند نشأة كثيرٍ من الحركات السِّريّة والعَلنيّة، وفي مُؤامرات عديدة، وعُرفت بطابع السِّريّة والتكتُّم، وبالطُّقوس الغريبة التي أُخِذَ معظمُ رموزِها من التُّراث اليهوديّ. ومن أهمِّ

الحركات والثَّورات التي كانت الماسونيّةُ وراءَها هي: الثورة الفرنسية.

من ناحية ثانية، ووسط كلِّ هذه الجهود لإقامة الكيان الإسرائيليِّ، رفضَ السُّلطانُ (عبد الحميد الثاني)، الذي كان حاكمًا للدَّولة العثمانيّة آنذاك، سدادَ دُيون الدَّولة مقابلَ تَقديم فلسطين لليهود، مُعتبرًا أنَّ الدُّيونَ ليسَت عارًا على الدَّولة، أمَّا العارُ فهو التخلِّي عن بيت المَقدس.

ولَم تَقتصر المشاريعُ الاستيطانيّةُ على الأرض المُقدَّسة فحسب، بل طالَت أماكنَ خارجَ فلسطين. هذه الأماكن هي: سورينام، وكايين، وجبل آرارات، العريش، قبرص، مدين، الأرجنتين، ليبيا، أنجولا، موزمبيق، البحرين والإحساء، الكونغو، شرق إفريقيا، وغيرها كثير، وكلُّها باءَت بالفشل.

الفصل الرابع: نداء شبتاي

(شبتاي زئيفي - Sabetay Sevi) هو المسيحُ الدَّجال، صادفَت ولادتُه، في أزمير التُّركية، بذكرى هدمِ المَعبدِ اليَهوديِّ في القدس على يَدِ الرُّومان، ويَعتقد اليهودُ أنَّ هذا اليومَ هو الذي سيَنزِلُ فيه المسيحُ اليهوديُّ المُخلِّص. دَعا (شبتاي) يَهودَ العالم إلى التوحُّد لتجديد «هيكل أورشليم». وأتباعُه هم طائفةُ الدُّونمة اليَهودية، وقد شكَّلوا بعدَ وفاته ما يُعرف بـ«حمعية الاتِّحاد والترقِّي»، ولعبوا دورًا هامًّا بإسقاط الدَّولة العثمانية وقيام الجمهورية التُّركية، وهَدم القيَم الإسلامية، ونَشر الإلحاد والأفكار الغربية، وانتشار الماسونية، والدَّعوة لهتكِ حِجابِ المرأة المُسلمة واختلاطِها بالرِّجال وخاصّةً في المدارس.

الفصل الخامس: المَفهوم المُراوغ

الصّهيونيّةُ مفهومٌ مُراوِغٌ قائمٌ على تزييف التَّوراة وَفقًا لمصالح اليَهود والغرب. فيما المَفاهيم الصَّحيحةُ هي أنَّ اليهود شعبٌ عضويٌّ منبوذٌ غيرُ نافعٍ، يَجبُ نقلُه خارجَ أوروبا ليتحوَّل إلى شعبٍ عضويٍّ نافعٍ، ويُنقَل إلى أيِّ بقعةٍ خارجَ أوروبا (فلسطين بسبب أهميتها الاستراتيجية للحضارة الغربية، وبسببِ مَقدرتها التَّعبويّة بالنِّسبة للمادّة البشريّة المُستهدَفة) ليُوطَّنَ فيها، وليَحِلَّ محلَّ سُكّانها الأصليِّينَ، الذين لا بدَّ أن تتمَّ إبادتُهم أو طَردُهم على الأقل، وتوظيفُهم لصالح العالَم الغربيِّ، الذي سيَدعمُ الكيانَ اليَهوديَّ، ويَضمَنُ بقاءَه واستمرارَه.

الصهيونيــة، فعليًّا، حركةٌ ظهرَت في القرن التاسـعَ عشرَ اسـتجابةً لمشـكلات أوروبية، وقد استثمرَت التُّراثَ الثَّقافيَّ اليهوديَّ والدَّعمَ الأوروبيَّ، فانتهَت إلى إقامة دولةٍ عنصريّةٍ في فلسطين، مُرتكِزةً بذلكَ على جدليّةِ إجلاءِ الفلسطينيِّينَ أصحابِ الأرض، وتَوطين اليهودِ بدلًا منهم.

الفصل السّادس: فنّ المُمكن

تتكـوَّنُ المنظَّمةُ الصّهيونيّةُ من عدّة تيّارات، لها نسـقٌ أيديولوجيٌّ واحدٌ، هو حلُّ المُشـكلةِ اليَهوديَّة. فالمُشـكلةُ هي معاناةُ الغربِ من اليهودِ المَنبوذينَ، ومعاناةُ يهود أوروبا من السّياساتِ الاضطهاديّة، لذلك أوروبا هي المُستفيدُ الأوَّلُ من مشروع الاستيطان في فلسطين، لكنِ السُّؤال الذي لم يُوجَد له جوابٌ: لماذا يَدفعُ الفلسـطينيونَ فاتورةَ اضطهادِ أوروبا لليَهود وكُرهِهم لهم؟ ما حدثَ هو تخطيطٌ لعالمٍ بسـيادةِ النِّظام الإمبريـاليِّ بقيادة الولايات المتحدة الأمريكيّة، الذي وصلَ إلى أقـصى مراحلِ صعودِه، التي ربمَّا لا صعودَ بعدَها، بل وقد يأتي الانحدارُ سريعًا لأنَّ التاريخ لا يتوقَّف.

سـمَّتِ الحركةُ الصّهيونيّة فلسـطينَ باسـمها الأصـليِّ، أو "الأراضي المُقدَّسـة" حتى العام ١٩٥٢م، وليس "إسرائيل"، لأنَّهم يَعرفونَ أنَّ شعبَ إسرائيلَ المَزعومَ كان قد اندثرَ من الوجود، وذابَ بين شعوب المنطقة! وأنَّ اللُّغة العِبريّةَ نفسَها قد اندثرَت من الوجود منذُ ذلك الزَّمن أيضًا، وقد كان اليَهود يتكلَّمونَ الآرامية.

من أهمِّ الشَّخصياتِ الدّاعمةِ للحركة والفِكرِ الصهيونيِّ:

- الأمريكي (وليم بلاكسـتون - William Blackstone)، من مدرسـة التَّفسير الحَرفيِّ للكتاب المُقدَّس، التـي انتشرَت في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي أيَّدَت إقامةَ وطنٍ لليهود في فلسطين، كان لأفكاره ونشاطاته أثرٌ كبيرٌ في ظهور الفكرة الصهيونية، وجَعلِ كثـيرٍ من اليَهود يُؤيِّـدونَ المُنظَّمةَ الصهيونية. ويُعتبرَ واحـدًا من الأمريكيِّينَ القلائلِ الذينَ لعبوا دورًا رئيسًا في إنشاءِ وطنٍ قوميٍّ لليهود.
- (آحـاد هاعـام - Ahad Ha'am)، من أوكرانيا، من أعمدةِ الفِكـر الصهيونيِّ، تركَ أثرًا عميقًا في الثَّقافة الصهيونيّة.
- (ماكـس نـوردو - Max Nordau)، مُفكِّرٌ وأديـبٌ يهوديّ، وُلِد في مدينة "بيسـت"

بالمجر، من عمالقةِ الفلسـفة الصهيونية، ورغم فهمِه لجوانبِ المَشروعِ الصهيونيّ، إلا أنَّه لم يلعـبْ دورًا قياديًّا في الحركة الصهيونية، وظلَّ يتحـرَّكُ في إطار الصّهيونيّة الأساسيّة الشاملة قبلَ تَهويدِها.

- (سـيمون دبنوف - Simon Dubnow)، مُؤرِّخٌ روسيٌّ يهـوديٌّ، من المُفكِّرينَ اليهود الشَّرقيين، كان رئيسا لـ "مركز البحوث اليهودية في شرق أوروبا»، وهو صاحبُ فكرةٍ قوميّة «يهود الدياسوبرا». وهو من «جماعة آحاد هاعام».
- (إسرائيـل زانجويـل - Israel Zangwill)، روائيٌّ إنكليـزيّ، يُعتبرُ زعيـمَ الصّهيونيّة الإقليمية، كان من المُتحمِّسينَ لإنشاء الوطنِ الصّهيونيِّ في ليبيا.
- الشاعر اليَهوديُّ (نفتالي إمبر - Naftali Herz Imber)، من شرق أوروبا.
- (ناحـوم سـوكولوف - Nahum Sokolow)، صحفي وكاتبٌ يهـوديٌّ بولنديٌّ، ومن زُعَماء الحركة الصّهيونيّة، والمُؤرِّخُ الرَّسميُّ لها.
- (جيكـوب كلاتزين - Jacob Klatzkin)، كاتـبٌ روسيٌّ صهيونيٌّ، من أهمِّ المُنظِّرينَ اليهود، وتُعتبرَ كتاباتُه من أهمِّ وثائقِ الفِكر الصهيونيِّ وأكثرِها وُضوحًا.
- (حاييـم وايزمان - Chaim Weizmann)، من روسـيا البيضاء، لعبَ الدَّورَ الأهمَّ في استصدارِ «وعد بلفور» الشَّهير، كان رئيسًا للمُنظَّمةِ الصّهيونيّة العالَمية منذ عام ١٩٢٠ م وحتى عام ١٩٤٦ م، ثم انتُخِبَ كأوَّل رئيسٍ لدولة "إسرائيل".

وقد وُقِّعتْ من قِبل الأمير (فيصل بن الشَّريف حسـين) اتِّفاقيةٌ سُمِّيَت "فيصل-وايزمان»، مع (حاييم وايزمان) رئيسِ «المنظمة الصّهيونيّة العالمية» في «مؤتمر باريس للسَّلام» عام ١٩١٩ م، يُعطي بها لليهود تَسهيلاتٍ في إنشاء وطنٍ في فلسطين، مع الإقرارِ بوَعد بلفور.

الفصل السابع: مذكرة (لورد بالمرستون - Palmerston)

افتتحَ (لورد بالمرسـتون)، وزيرُ خارجيـة بريطانيا، أوَّلَ قنصليةٍ بريطانيـة في القُدس، وذلك لحمايـة المصالح البريطانيّة في الشَّرق، والاهتمامِ بتَشـجيع اليَهود للهجرةِ إلى فلسـطين. اهتمَّ بتُركيـا، وكان يَقول إنَّهـا بلدٌ مُتأخِّرٌ عن الحضـارة الغربية. بريطانيا، وَفقًا لذلـك، لها دورٌ مُبكِّرٌ في إقامة الكيان، وكانَت تُخطِّط بتكتُّمٍ مع السُّـلطان العثماني لتَجميع اليهود في فلسطين تحتَ

الحماية البريطانيّة. بعثَ (اللورد بالمرستون) رسالةً عام ١٨٤٠م إلى السَّفير البريطاني في تركيا، طلبَ فيها حثَّ السُّلطان على إصدار قرارٍ بتشجيع تَجميعِ اليَهودِ المُبعثَرينَ في أوروبا.

أمّا (لورد آرثر بلفور - Arthur James Balfour) الذي وُلد في «ويتنهام» بأسكتلندا، فأصدرَ عام ١٩١٧م تصريحًا مكتوبًا، باسم الحكومة البريطانية، يتعهَّدُ فيه بإنشاء وطنٍ قوميٍّ لليَهود، وارتبطَ اسمُه عند العرب بذلك التَّصريح الذي سُمِّيَ بـ«وعد بلفور». وفور صدورِه، سارعَتْ دولُ الغربِ بتأييده، على حين كان كوَقعِ الصّاعقةِ في العالَم العربيّ.

الفصل الثَّامن: الأدب الصهيوني

يَدور الأدبُ الصهيونيُّ حول محور الدِّين لشدِّ اليهود إلى فلسطين، ويُحاولُ أنْ يُرسِّخَ في الوجدان أنَّ الصَّهاينةَ هم بناةُ حضارةٍ كما اليهود دائمًا، وهم في الوقت نفسه يُشيرونَ إلى تخلُّفِ العَرب، وأنَّهم يَستحقُّون أنْ تُحتَلَّ أرضُهم لتَطويرِها، لكنْ ليسَ قبلَ طردِ أهلِها المُتخلِّفينَ... لذلك كتبَ الأدباءُ والشُّعراء اليهودُ كثيراً عن الحنين الدِّيني لأرض فلسطين، ولم يُشيروا إلى حنينٍ سياسيٍّ لفلسطين، حتَّى جاءَتِ الصّهيونية، وراحَت تُوظِّفُ حنينَهم الدِّينيَّ للأرض في خدمةِ الفكرِ الصهيوني، إلى أن تحوَّلَ الحنينُ إلى مشروع استعماريٍّ استيطانيٍّ للأرض، والصُّورة التي يَرسمُها الأدباءُ اليهودُ المُحدَثونَ لأرضِ فلسطينَ تُطابِقُ في تكوينِها الأبعادَ الثلاثة «الدِّيني والتاريخي والوطني» كأنَّها بعدٌ واحدٌ.

الفصل التَّاسع: من النّيل إلى الفرات

قال (ماكس بودنهايمر - Max Bodenheimer)، مستشار (هرتزل)، في المؤتمر الصهيوني الأول: «إنَّ لأحلامنا أجنحةً لا تَعرف الحدودَ، وإنَّ المنطقةَ ما بين نَهرَي النِّيلِ والفُرات يَجب أن تُفتَحَ أمامَ الاستيطانِ اليهوديِّ، لتَحقيقِ الوَعدِ الإلهي لليَهود بالدَّولة اليهودية الكُبرى». الحلمُ الصّهيوني مَبنيٌّ على ما جاء في الكتابِ المُقدَّسِ عندَ اليهود.

رفضَتِ الدَّولةُ العثمانيةُ المشروعَ اليَهوديَّ، وكانت نظرةُ السُّلطان عبد الحميد بعيدةً، وتخيَّلَ ما سيأتي من بعد تحقيقِ مشروعٍ كالمشروعِ الصهيونيِّ في فلسطين، حيث سيكونُ فرصةً للدُّول العُظمى لزيادة نفوذِها في المنطقة، وأثبتَتِ الأيّامُ أنَّ (السُّلطان عبد الحميد) كان مُصيبًا. حتى

وإنْ كان المَشروعُ الصهيونيُّ لم يُحقِّق النَّجاحَ بعدُ.

وفي إطار المراسلات بين (الشَّريف حسين) والحكومة البريطانية، تمَّ بحثُ إمكانيّة قيام ثورة عربيّة ضدَّ الأتراك خلالَ الحرب العالميّة الأولى. بدأت المُراسَلاتُ في تموز ١٩١٥م، واستمرَّت حتى آذار ١٩١٦م، حيثُ طالبَت الدَّولةُ العربيّةُ بالاستقلال، وإعلان خليفة عربيٍّ. ورغم الوعود البريطانيــة، لم تُنفَّذ هــذه المَطالبُ بعدَ الحــرب، وأدَّى ذلك إلى خيبة أملٍ لــدى العَرب. وفي النِّهاية تمَّ تقسـيمُ أراضي الخلافة العثمانيّة وَفقَ «اتفاقية سايكس-بيكو»، وجَعلُ فلسطينَ تحتَ الانتداب البريطاني. وبعد سـقوط الدَّولة العثمانية، سعَت القوى الاستعمارية (بريطانيا، فرنسا، روسيا) لاقتسـام مناطق الشَّرق الأوسط عبر اتفاقيّة «سايكس-بيكو» ١٩١٦م، التي كانَت سرِّيةً بين بريطانيا وفرنســا. وقد شاركَ (مارك سايكس - Mark Sykes) في هذه الاتفاقية، وكان له دورٌ في السِّياسة البريطانيّة تُجاهَ فلسطين، وأسهَمَ في إصدار «وعد بلفور».

الفصل العاشر: الاختيار

هناكَ اتِّجاهــان للحركة الصهيونية، دِينيٌّ لشَــحن الأفراد والجماعات في الشَّــتات اليهوديِّ لتَحفيزهم على الذَّهاب إلى أرض الميعاد (فلسطين)، وسياسيٌّ لإقامة المستوطنات على أرض فلسطين وضَمان دَعم الدُّوَل النّافذة ماليًّا وأمنيًّا وعسكريًّا.

ذكرَ الكاتبُ في هذا الفصل عدّةَ شخصيات مُؤثِّرة منها:

- (هربرت صموئيل - Herbert Samuel)، سـياسيٌّ بريطانيٌّ صهيونيٌّ، كان أوَّلَ وزير يَهوديٍّ بريطانيٍّ يَتبنَّــى الفكرةَ الصهيونية، ثمَّ عُيِّنَ مُعتمَدًا بريطانيًّا في فلســطين إبانَ حكم الانتــداب البريطاني. تضمَّنَــت مُذكِّرتُــه إلى الحكومة البريطانيّــة تحذيرَه من الخطر المُحتمَلِ من الاحتلال الفرنسيِّ في فلســطين. واقترحَ أنْ تُؤسَّسَ دولةٌ يهوديّةٌ في فلســطين. ونصحَ بأنْ تَســمحَ بريطانيا للمُنظَّمات اليَهوديّة بشِراء الأراضي وإقامة مُستعمرات يَهودية. والمُذكِّرةُ تُسلِّطُ الضَّوءَ على العلاقة الوثيقة بين الحركة الصّهيونيّة وبريطانيا.
- (الحاج أمين الحســيني)، مُفتي القدس وقائدٌ فلسطينيٌّ بارزٌ، ناضلَ طوالَ حياته ضدَّ الاســتعمار البريطاني والصهيونية، وكان من أبــرزِ المُعارِضينَ لـ "وعد بلفور». وبعدَ

اعتقاله وهروبه من السُّلطات البريطانية شغلَ منصبَ «مُفتي القدس»، وأسهمَ في تأسيس «الهيئة العربيّة العُليا»، وعارضَ تقسيمَ فلسطين، وهاجرَ بعدَ ملاحقته إلى عدّة دُول.

- (لورد روتشيلد - Rothschild) ابن عائلة يهوديّة صهيونيّة ثَريّة، لعبَت دورًا في تمَويل الحروب وتجارة الأسلحة. كان آل روتشيلد يَستغلُّونَ الحروبَ الاقتصادية والسياسية لزيادة ثَرواتهم، وأسهَموا في تأسيس دولة "إسرائيل" من خلال دعمِ الحركاتِ الصّهيونيّة، وتَقديمِ الأموال اللازمة لهذا المَشروع.
- (ديفيد ولفسون - David Wolffsohn)، زعيمٌ صهيونيٌّ وعضوٌ بارزٌ في الحركة الصهيونية، تأثَّرَ بأفكار (هرتزل)، وشاركَ في تأسيس جمعيةٍ لتَوطينِ اليهودِ بفلسطين. وكان له دورٌ مُهِمٌّ في توحيد الحركة الصهيونية.
- (اليعازر بن يهوذا - Eliezer Ben-Yehuda)، رائدُ إحياء اللُّغة العِبريّة، وُلِد في ليتوانيا وهاجرَ إلى فلسطين عام ١٨٨١م. دَعا إلى إعادة إحياء العِبرية، وقام بتأليف قاموسٍ عبريٍّ، ونجحَ في جعل العِبريّة لغةً رسميّةً في فلسطين المُحتلّة، إلى جانبِ العربيّة والإنجليزية. وكذلك (ابن شوشان)، أنشأ قاموسًا عبريًّا، في سبعة أجزاء، وهو الأكثر شيوعًا بين "الإسرائيليِّين".
- (لورد شافتسبري - Shaftesbury)، من أبرز المُفكِّرينَ الإنجليز. صاحبُ مَقولة «أيُّ شعبٍ لا بدَّ أن يكون له وطنٌ» لدَعمِ فكرة «الوطن بلا شعب لشعب بلا وطن»، وهو شعارٌ صهيونيٌّ شَهير، دافعَ عن فكرة توطين اليهود في فلسطين تحتَ رعايةِ بريطانيا، وكان يُؤمِنُ أنَّ اليهودَ يُمكِنُهُم أن يَكونوا مُنتجينَ في فلسطين بَدلاً من وُجودِهم «المنبوذ» في أوروبا. وعلى الرَّغم من ذلك اعترفَ بعدمِ حماسةِ اليهودِ لفكرة الهجرة إلى فلسطين في ذلك الوقت.
- ومن قادة الحركة الصّهيونيّة وأكثرِهم تطرُّفًا، (فلاديمير جابوتنسكي - Vladimir Zhabotinsky)، الذي أسَّسَ تيّارَ «الصّهيونيّة التَّصحيحية»، الذي دَعا إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين باستخدام القوة العسكرية. وكانَت أفكارُه تَتبنَّى الهيمنةَ الغربيةَ على العرب، وقد أسَّسَ حركةَ «حيروت» التي تبنَّتْها لاحقًا الأحزابُ اليَمينيّةُ في "إسرائيل".

في شباط ١٩٤٨م، اجتمعَ وزيرُ خارجية بريطانيا (إرنيست بيفين - Ernest Bevin) مع رئيس وزراءِ الأردن (توفيـق أبو الهدى)، الذي أكَّدَ أن الجيشَ العربيَّ بقيادة (جلوب باشـا) سـيَدخُلُ المنَاطِقَ التي حدَّدَها قرارُ التَّقسيم، لكنَّ بيفين حذَّرَ من دخول المناطق المُخصَّصة لليَهود، بما في ذلك القُدس. هذا التَّحذيرُ دفعَ نحوَ تأجيل الحَربِ، إلا أنَّ العربَ قرَّروا دخولَ فلسطينَ بعد انتهاء الانتدابِ البريطانيِّ.

بدأَ الصِّراع بين العرب واليهود في أيار ١٩٤٨م، حيث كانَت "إسرائيل" تُواجِهُ تحدِّيات داخليّةً وأوضاعًا صَعبة، وشـملَت الحربُ هجمات بين القوات العربيّـة و«الإسرائيلية» في مناطق مثل القُدس والنَّقب، واستمرَّ القتالُ حتى توقيعِ هُدنة بينَ "إسرائيل" والدُّول العربيّة في ١٩٤٩م، لكنَّ الصِّراعَ تركَ نتائجَ كارثيّةً للعَرب، حيث تمَّ طردُ مليونِ فلسطينيٍّ من ديارهم، فكانَت هذه الحربُ نكبةً بكلِّ المَقاييس في الضَّمير العربي.

الفصل الحادي عشر: لا شيءَ غير الحقيقة

استفاد اليهودُ من تجارب الشُّعوب الأخرى، خاصّةً خلال فتراتِ الشَّتات، والصّهيونيّة ليسَت حركةً دينيّةً بَحتة، إنَّما لها أبعادٌ سياسية واقتصادية. نشأتْ نتيجةً للأحداث السِّياسية والاقتصادية في أوروبا في القرن التاسـعَ عشرَ، وفكرةُ «العودة إلى صهيون» لم تكـنْ مُرتبِطةً فقط بالدِّين بل بالمَصالح الاقتصادية والسياسية.

تُستَخدم الصّهيونيّةُ كأداة للهيمنة الاقتصادية والإعلامية، والعديدُ من التصرُّفات «الإسرائيلية»، مثلِ الإنكارِ المُتكرِّر لوُجودِ الفلسطينيِّين، هي تَعبيراتٌ عن عنصريّةٍ وتاريخٍ من القَمع، والصّهيونيّةُ تستغلُّ القوى العالَميّةَ لتَحقيق مصالحِها.

تَمكَّنَـت الحركةُ الصّهيونيّةُ من فَرضِ هيمنتِها عبرَ تَنظيم سـياسيٍّ قويٍّ ورأسِ مالٍ مُتراكم، مهَّدا الطَّريقَ لإنشـاء "دولة إسرائيل". ونجحت الصّهيونيّةُ في اسـتغلال الانقساماتِ العربيّة رغم محاولاتِ العرب التَّصدِّي لها. وقد سـاعدَ التحالُفُ بين الحركة الصّهيونيّة والاسـتعمار الغربي في تَحقيق أهداف الصهيونية، رغم أنَّ العربَ لم يَكونوا السببَ في «المشكلة اليهودية»، بل تعرَّضُوا لظُلمٍ وتَعدِّياتٍ مُسـتمرّة، وأصبحَت فلسطينُ مكانًا لصِراعٍ طويلِ الأمدِ بين العرب والصَّهاينة.

الفصل الثاني عشر: الغاية تُبرِّرُ الوَسيلة

أنشأ أصحابُ المشروعِ الصهيونيِّ دولتَهم على أساسِ التَّضليلِ والكَذب، مُستخدمينَ جميعَ الأساليبِ والمبادئ لتَحقيقِ مَصلحتِهم، مُتجاهلينَ القِيَمَ الأخلاقية. كانَت عمليّة «سوزانا» - التي نفَّذَتْها المخابراتُ الصَّهيونيّة في مصر عام ١٩٥٤م، حيث كانَ (بنحاس لافون - Pinhas Lavon) -وزيرَ الدِّفاع «الإسرائيلي» آنذاك- تَهدفُ إلى زعزعةِ الأمن المصريِّ، وتَوتيرِ علاقاتِ مصرَ مع بريطانيا وأمريكا. لكنَّ العملية فشلَتْ بعدَ كشفِ شبكةِ تجسُّسٍ تَضمُّ شبّانًا يَهود، حُكم عليهم بالإعدامِ قبلَ أن يُفرَجَ عنهم بعد نكسة ١٩٦٧م، في صفقةِ تبادُلِ أسرى مع "إسرائيل".

فـ"إسرائيل" هي فكرةٌ مَركزيّةٌ في الفكر الصهيوني، حيث يَرى الصَّهاينةُ أنَّ "إسرائيل" يجبُ أن تكون المركزَ الأخلاقيَّ والثَّقافيَّ لليَهود في العالم. وكثيرٌ من اليهود لا يَرَونَ "إسرائيل" دولةً دينيّةً حقيقيّةً، ويَعتقدونَ أنَّ الظُّروفَ قد تغيَّرَت منذ تأسيسها.

لقد أثَّرَ الإعلامُ الصُّهيونيُّ في تشكيلِ صورةِ "إسرائيل" كمركزٍ أخلاقيٍّ لليهود، لكنَّ "إسرائيل" قد لا تكون المستقبلَ المستدامَ لليهود، في ظلِّ العولمةِ والتَّغيُّرات الاجتماعيّة والسّياسيّة في العالم، وقد برزَ (موسيس مندلسون – Moses Mendelssohn)، وهو فيلسوفٌ يهوديٌّ ألمانيٌّ، في عصر التَّنوير حيث أيَّدَ اندماجَ اليهود في المجتمعات الأوروبية. واعتبرَ أنَّ اليهوديّةَ دينٌ عقلانيٌّ وليسَ قوميّةً، وقد دَعا إلى تحديث الفكر اليهوديِّ، وأسهمَ في الحركة الإصلاحية اليَهوديّة، كما أيَّدَ المُساواةَ المَدنيّةَ بين اليَهود وغيرِهم. ورغم ذلك، واجهَت حركتَه تحدِّياتٌ داخليّةٌ وخارجيّةٌ، حيثُ تحوَّلَ بعضُ أتباعِه إلى المسيحية، وبدأتِ الحركةُ الإصلاحية في العودةِ إلى القومية الصّهيونيّة مع مَرورِ الوَقت.

الفصل الثالث عشر: ردُّ الفعل

وفي سياق ردِّ الفعل، قدَّمَ الفلسطينيُّونَ شهداءَ، ودُمِّرَت المُنشآتُ في سبيل تحرير الأرض. ورغم ذلك، لم يتحقَّق التَّحرُّرُ بسبب غيابِ القيادة المتَّزِنة، والبَرامجِ الثَّوريةِ الواضحة، والتَّغيُّرات المُستمرّة في الخططِ السِّياسية، وعدمِ استقرارِ المواقف. وقد كانَت المَواقفُ الأمريكية داعمةً لـ"الإسرائيليِّين"، فلعبَتْ دورًا كبيرًا في إعاقةِ الحلولِ السِّلميّة. وعلى الرغم من المحاولاتِ العربيّة المُختلفةِ لإيجاد حلٍّ سِلميٍّ، إلا أنَّ عدمَ التَّنسيقِ بين الدُّول العربيّة جعلَها عاجزةً عن

تقديم حلولٍ فعّالة. وما زالَ الفلسطينيُّونَ والعربُ يُعانونَ من غياب الحلولِ الجذريّة للصِّراع. ففي مرحلةٍ ما، عاشَ الفلسطينيُّونَ والعربُ حالةَ الهزيمة، إذ لم تعدْ قضيَّةُ فلسطينَ أولويَّةً بالنِّسبة للدُّول العربية، بل أصبحَ الاعترافُ والتَّطبيعُ مع "إسرائيل" واقعًا.

الفصل الرّابع عشر: الحوار مع الذّات

يُؤكِّدُ الكاتبُ على أنَّ المسلمين والعرب، في العصر الحديث، قد أصبحوا يتَّبعونَ الغربَ في كثيرٍ من المجالات، خاصَّةً الفكريَّة والثَّقافية، وكان لذلك أثرٌ في ضعف الهوية الثقافية والعقائدية، وسُمح للصّهيونية باختراقِ المنطقةِ وتهديدِ حقوقِ العربِ والمسلمين. وأصبحَتْ مدينةُ القُدس محطَّ تَنافُسٍ بين اليهود والمسيحيِّين والمسلمين. وقد أسهمَت الثَّقافة اليهوديَّةُ بتكوين هُويَّةِ الفردِ اليهوديِّ، وعزَّزَت العُزلةَ والتميُّز، ودعمتِ الفكرَ الصُّهيونيَّ الذي يَسعى لتأكيد «قداسة» الأرض والشَّعب اليهودي.

الفصل الخامس عشر: قفزةٌ في الهواء

استطاعَت "إسرائيل" تَحقيقَ وجودِها بفضلِ الدَّعمِ الدُّوليِّ والنُّفوذِ اليهوديِّ ماديًّا وإعلاميًّا، لكنَّ هذا الوجود ليسَ طبيعيًّا، بل نشأ في ظلِّ ظروفٍ غيرِ شرعية. لذا فقد واجَهَ المَشروعُ الصهيونيُّ تحدِّياتٍ ديمغرافيّةً مستمرّةً. كما أنَّ تطوُّرَ الحركة الوطنيَّة الفلسطينيَّة يُشَكِّلُ تهديدًا مستمرًّا لـ"إسرائيل". وعلى الرَّغم من تقدُّم "إسرائيل" في بعض المجالات، إلا أنَّ هناك عواملَ داخليَّة وخارجيّة تُهدِّدُ بقاءَها على المدى الطَّويل، وهذا يَخلُقُ معادلةَ توازُنٍ بين أسباب وجودِها وزوالِها.

تُوجِّهُ المجتمعاتُ، وخاصّةً في الغرب، أجيالَها نحوَ تبنِّي مفاهيمَ مُعيَّنة، مثلِ تأييد "إسرائيل" في المناهج التَّعليميّة. ويَبرزُ دورُ العولمةِ والتكنولوجيا في تشكيل الأيديولوجيّاتِ وتحدِّياتِها في مواجهةِ القِيَمِ الثَّقافية والاجتماعية التي يَفرِضُها الغرب.

الفصل السّادس عشر: مصادر القوة الصهيونية

تُعتبرُ عمليّةُ جمعِ التَّبرُّعاتِ لصالح الدَّولة الصّهيونيّة جزءًا أساسيًّا من المشروع الصهيوني،

وتُستخدَم أساليبُ مثل التَّخجيل، والترَّغيب، والتَّهديد، حتى الخِداع. وقد اعتمدَت الصهيونيةُ، منذ نشـأتها، على تبرُّعاتِ اليهود حولَ العالم، خصوصًا في أمريكا، لتَعزيز الرَّوابطِ العاطفية مع "إسرائيل"، ولتَمويلِ الاسـتيطان في فلسطين. وتُعتبرَ هذه التَّبرُّعاتُ شكلاً من المشاركة في بناء الدَّولة الصهيونية. ومن أبرز مُؤسَّساتِ جمعِ الأموال: «الصُّندوق القوميّ اليهودي» الذي اشترَى الأراضي الفلسطينيّةَ، و«النِّداء اليهودي الموحَّد» في الولايات المتحدة. ورغم تراجُعِ التَّبرُّعات مع مرورِ الزَّمن، تَبقى هذه الجِباياتُ أداةً رئيسيّةً لدَعمِ المَشروع الصهيوني وتَحقيقِ أهدافِه.

الفصل السابع عشر: الإعلام الصهيوني

لعبَ الإعلام الصهيونيُّ دورًا كبيرًا في الصِّراع العربي «الإسرائيلي»، حيث اسـتخدمَ أساليبَ مُتنوِّعةً من التَّضليل والتأثير على الرّأي العامِّ العربيِّ والغربيِّ. واسـتطاعَت "إسرائيل" أن تُروِّجَ لنَفسـها كدَولةٍ ديمقراطيّةٍ مُحبّةٍ للسَّلام، في حين صوَّرَت الفلسطينيِّينَ كإرهابيِّينَ. وهذا الإعلامُ أسهمَ في تغيير المفاهيم في الغرب، ليُنظَرَ إلى "إسرائيل" كضَحيّةٍ رغم ممارساتِها العَنيفة، وأدَّى إلى خلقِ روايةٍ زائفة حول تاريخ الصِّراع. كما اسـتفادت "إسرائيل" من وسـائل الإعلامِ الغربيّةِ لزَرعِ القَناعاتِ في الأجيال الجديدة بأهمِّيةِ وُجودِها كحصنٍ للغَربِ ضدَّ الهَمجيّة.

الفصل الثامن عشر: جماعات الضغط الصهيونية

تُستخدَمُ كلمةُ «لوبي» للإشارة إلى جماعاتِ الضَّغطِ التي تَسعى للتأثير في القَرارات السياسيّة أو الاقتصاديّـة. ويُعتبرُ «اللّوبي» في الولايات المتحدة وسـيلةً مُهمّةً لضغـوطٍ جماعيّةٍ لتَحقيقِ مصالـحَ مُعيَّنة، مثل اللّوبيات المُرتبطة بشركات النِّفط أو الأسـلحة أو اللّوبي اليهودي (أيباك). هذه الجماعاتُ تَستخدم وسائلَ مُتعدِّدةً للتأثير على صُنّاعِ القَرار، من خلال الإعلام، والتبرُّعاتِ السياسـية، والضَّغط على المُشرِّعينَ، وبذلك أصبحت اللّوبيات أداةً قويّةً في تشـكيل السياسةِ العامة.

الدَّعمُ الأمريكيُّ لـ "إسرائيل" ليس نتيجةَ تعاطُفٍ شـخصيٍّ، بل نتيجةً لمَصالحَ اسـتراتيجيّةٍ وأمنيّةٍ تَتماشى مع مصالحِ الغَربِ بشـكلٍ عامٍّ، وتُعتبرُ "إسرائيل" قاعدةً عسكريّةً مُهمّةً لأمريكا. لذلك كان للّوبي الصهيونيِّ دورٌ في التأثير على السياسة الأمريكية.

وأمَّـا تاريخُ العلاقـات الغربية مع العالَمِ العـربيِّ فهو مُعقَّدٌ جدًّا، حيثُ يَـرى الغربُ والعالَمُ الصهيونيُّ المنطقةَ العربيّةَ كمَصدرٍ للمَوارِدِ والثَّروات، في ظلِّ غيابِ وحدةٍ سياسيّةٍ قويّة.

الفصل التاسع عشر: الرَّفض اليهودي للصهيونية

نشـأت الصّهيونيّة في سـياق الإمبرياليّة الغربية، وتبنَّتْ فكرةَ عودة اليَهود إلى أرض فلسـطين لتأسيس دولة. وقد واجهَت مُعارَضةً من تيّارات يَهودية مُتنوِّعة، مثل المُتديِّنينَ الذين يَرَونَ اليَهوديّةَ دينًـا لا قوميّة، والاندماجيِّـينَ الذين يُفضِّلونَ التَّعايُشَ داخلَ المجتمعـات الغربية. كما عارضَتْها بعضُ الجماعات اليهوديّة في الشَّتات مثل يهود اليديشية واليهود العرب. وقد كانَت هناك مقاوَمة شـديدةٌ لفكرة الصّهيونيّة من تيارات يهوديّةٍ أُخرى، سـواء كانَت دينيّةً أو لِيبراليّة اشـتراكية. بل إنَّ الرَّفـضَ الصهيونيَّ كان أيضًا ذا أبعـاد تاريخية وثقافية، إذ اعتبرَ بعضُ اليهـود أنَّ الصّهيونيّة تمُثِّلُ انحرافًا عن التُّراث الدِّينيِّ اليَهودي. ورغم كلِّ هذه المُعارَضات، ازدهرَت الصّهيونيّةُ بفَضلِ الدَّعمِ الاستعماريِّ الغربيِّ، وأدَّى قيامُ دولة "إسرائيل" إلى تغييرات جذريّةٍ في هوية اليَهود في العالم.

يمُكـنُ القولُ إنَّ الصّهيونيّة شـكَّلَت نقطةَ تحـوُّلٍ في تاريخ اليَهود، حيث أثَّـرَت في هويّتهم الثَّقافية والدِّينية، وأسـهمَت في تشـكيل «الدَّولة الإسرائيلية» التي تُواجِـهُ تحدِّياتٍ تتعلَّقُ بتنوُّع الثَّقافة اليَهودية داخل «المجتمع الإسرائيلي».

الفصل العشرون: الخاتمة

نشـأت الحركةُ الصهيونيّةُ بدَعمٍ كبيرٍ وتأييدٍ غير محدودٍ من الغَرب، الذي نظر إليها على أنَّها مشروعٌ استعماريٌّ يَخدمُ مصالحَه. وتعودُ الجذورُ الصّهيونيّةُ إلى تحالُفاتٍ مع الدُّول الغربية في القرن التاسـعَ عشرَ، حيث سـعَت إلى تَحويل اليهود إلى أداة في خدمة المَشاريع الاستعمارية. فالصّهيونيّةُ ليسَـت مُجرَّدَ حركةٍ دينيّة، بـل هي أيضًا نتاجٌ للمصالح الاسـتعمارية الغربيّة، التي استغلَّت اليهودَ في إنشـاء دولةٍ لهم في فلسطين. وقد نشأت التَّوتُّراتُ بين اليهود والمُجتمعات الأوروبية التي لم تُرحِّبْ بهم. لذلكَ فالصّهيونيّةُ هي حركةٌ سياسـيّةٌ اسـتعماريّةٌ نشـأتْ ضمنَ سياق التَّفاعُلات الغربية، التي لم تَترُكْ للعربِ فرصةً للوحدة والتَّقدُّم في مواجهة هذا المَشروع.

والجديرُ بالذِّكرِ أن الكتابَ أوردَ في نهايتِه وثائقَ كثيرةً وردَ ذِكرُها ضمنَ سياقِه.